ألبرتو مورافيا دون جوان الأدب العالمى

(١٩٠٧ م - ١٩٩٠ م)

«ألبرتومورافيا»

أحد عباقرة الرواية والقصة القصيرة فى القرن العشرين، وهو عاشق ولهان بالمرأة، واستطاع أن يجمع بين العشق والعمل فتخصص فى كتابة الرواية الجنسية وتحليل مشاعر المرأة، حتى إنه لُقب «بدون جوان» الأدب العالمى، وهو كاتب وشاعر ورحالة وصحفى ومناضل سياسى من أجل المظلومين، وهو يهودى الديانة ولم يمنعه ذلك من الدفاع الدائم عن الفلسطينيين.

شهدت مدينة روما العريقة فى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٠٧ ميلاد الطفل «ألبرتو بى كرلى» فى أسرة إيطالية متوسطة الحال، الأب يعمل مهندسًا ورسامًا وهو يهودى جمع وقرأ الكتب الأدبية وبخاصة لأدباء البندقية، والأم إيطالية المولد يوغوسلافية الأصل، تهتم كثيرًا بزوجها وأولادها تحب النظام، ساعدت طفلنا «ألبرتو» على معرفة وإتقان اللغة الفرنسية عن طريق المربيات الأجنبيات كما كانت تروى له القصص حتى ينام وهو فى الثالثة أبدى الطفل رغبة فى العزلة والانطوائية منذ نعومة أظفاره، وساعد على ذلك شخصية والده القوية المنعزلة أيضًا، من هنا ارتمى «البرتو» الصغير فى أحضان الكتب يقرأ ويفندها، وكان يسأل كثيرًا فى كل شىء، ويرفض

المُسلَّمات. ألحقته أسرته بالمدرسة لكنه لم يستمر لمرض أصابه، ومع ذلك ظهرت عليه موهبة الكتابة والميل إلى الشعر وهو فى الخامسة من عمره، تقول زوجته الثانية «داسيا مارينى» فى كتابها عن «مورافيا» تحت عنوان «الطفل مورافيا»:

مرّ «مورافيا» فى طفولته بمراحل عانى فيها من الكثير من العزلة والوحدة على الرغم من أنه كان يعيش بين أبويه وإخوته الثلاث، فوالده – من أصل يهودى – ذو شخصية حادة منغلقة على نفسها مما ساعد على تباعد المسافة بينه وبين ابنه لدرجة أنه لم يتحدث مع ابنه «مورافيا» سوى مرات معدودات خلال مرحلة الطفولة مما أثر على نفسيته، وكان «مورافيا» منذ الصغر يفضل الانطواء والارتماء فى أحضان الكتب، كما كان يرفض كل عمل كان يعرضه عليه والده من أجل الكسب وأصرّ على أن يعمل فى مجال الكتابة، حتى إنه لم يستطع تكملة دراسته واكتفى بوصوله للمرحلة التعليمية المتوسطة وبدأ ينغمس فى الكتابة والأدب.. وقد زاد من عزلته عن الناس والمجتمع فترة مرضه وذلك عندما أصيب وهو فى التاسعة من عمره بالسل فى عظام قدميه مما ألزمه الفراش أكثر من خمس سنوات لم يجد خلالها من ونيس وصديق إلا الكتب والقراءة.

يقول «مورافيا» عن هذه الفترة فى حياته:

«رقدت فى طفولتى خمس سنوات لم أبرح السرير بسبب مرض فى عظامى، ولم يتمكن والدى المهندس من إرسالى إلى المدرسة كما كان يتمنى.. وهكذا أنقذت لحسن الحظ من إضاعة وقتى فى المدرسة،

وتعلمت فى السرير وحدى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتعلمت أيضا أن أقرأ كثيرا، وكتبت أول قصة وعمرى سبعة عشر عامًا ونجحت كثيرًا».

لم يستسلم «ألبرتو» للمرض وجعل من السرير مكتبه ومكتبته ومكان انطلاقه، بدأ يبحث فى نفسه عن موهبة الشاعر وكتب بعض القصائد يعبر فيها عن نفسه وظروفه، لكنه فى مرحلة الفتوة والشباب لم يقتنع بنفسه كشاعر فطرق باب كتابة الرواية وحقق نجاحًا بعد نجاح، حتى أصبح عميد الرواية الإيطالية بلا منازع، وساعده على ذلك حبه للقراءة، ولم يكتف بقراءة الأدب الأوربى، بل قرأ الأدب العالمى والعربى أيضًا، قرأ «يوميات نائب فى الأرياف» لتوفيق الحكيم، «وألف ليلة وليلة»، وقرأ كتاب ابن بطوطة «تحفة النظار فى غرائب الأبصار وعجائب الأسفار» الطريف أنه صرح فى إحدى زياراته للقاهرة بأنه معجب بابن بطوطة وكتابه، وذلك لأن ابن بطوطة كان يتزوج من كل بلد ينتقل إليه ثم يُطلق وينتقل إلى بلد أخرى يتزوج، حتى تزوج ٢٣ مرة وأنجب سبعين ولدًا وبنتًا، وهكذا كان يعيش حياته، ومن الطبيعى أن يكون السبب الرئيسى فى هذا الاعجاب عشق «مورافيا» و «ابن بطوطة» للنساء والزواج بكثيرات، وقد لعبت المرأة فى حياة «مورافيا» دورًا هامًا منذ طفولته فى البيت وخارجه، فقد عايش داخل البيت مربية فرنسية جادة وحازمة، وأخرى بولندية جميلة، ووقع فى حب امرأة ألمانية وهو فى بداية سن المراهقة تكبره بعشرين عامًا، وظلت المرأة شاغله

الشـاغل طوال حياته، اهتم بها ودرس أوضاعها ومشاكلها وموقفها من الرجل، وحلل مشـاعرها ورغباتها حتى اشـتهر بكتاباته الجنسية، بـل أدى ذلك إلى مثوله أمام المحاكم أربع مرات بتهمة الإباحية، وإذا كان قد أحب وهو صغير السن فتاة تكبره بعشرين عامًا، فإنه تزوج فى الكبر وعمره ثمانون سـنة تقريبًا بفتاة عمرها ٣٥ سـنة، أى إن الفارق بينهما ٤٥ سنة وضرب عُرض الحائط بكلام الناس ودهشتهم.

يقول الدكتور «نبيل راغب» فى كتابه: «أدباء القرن العشرين»:

أول روايـة كتبها «ألبرتو مورافيا» كانت «العاهرة المنهكة» وهو فى السادسة عشرة من عمره، ونشرت فى مجلة فرنسية، وفى هذه الرواية نلاحظ النغمة الرئيسـية التى برزت فى معظم رواياته بعد ذلك، وهى النغمة التى تبلور مأسـاة الإنسـان فى مواجهة الضرورات الاقتصادية لدرجـة أنها تجبره على أن يبيع جسـده وروحه فـى نهاية الأمر من أجل إشباع هذه الاحتياجات الملحة، فالإنسان ليس بطلا دائمًا، بل هو ضحية فى معظم الأحيان.

أما عـن الأعمال الكاملـة «لمورافيا» فيلخصه الملحـق الأدبى لمجلة «لاكسبرسـو» الإيطاليـة الصادر فى ١٠ أكتوبر سـنة ١٩٩٠ بعد وفاته فيقول: إنتـاج «مورافيا» فى ألـوان الأدب كثير ومتنـوع بين الرواية والقصـة القصيرة والمسـرح، وبلغـة الأرقـام، كتب «مورافيـا» أربعًا وثلاثين رواية طويلة، وعشـر مجموعات قصصية، وست مسرحيات، وتعتبر رواية «المسـتهترون أو اللامبالون» من أهـم رواياته التى عالج

فيها بأسلوبه المميز العلاقة بين الجنس والمال.. وفى روايته: «شتاء الصبى المريض» سنة ١٩٣٠ استخدم «مورافيا» من مرضه الذى أصابه فى طفولته مادة خصبة لفنه. ومن رواياته أيضا: «طموحات مغلوطة» سنة ١٩٣٥، «ثوب الحفل الساهر» سنة ١٩٤١، «أجو ستينو» سنة ١٩٤٤، «امرأة من روما» سنة ١٩٤٧، «لوكا» سنة ١٩٤٨، «زواج الحب» سنة ١٩٤٩، «الملتزم» سنة ١٩٥٠ ويوضح «مورافيا» فى هذه الرواية أن الحياة الجنسية السليمة السوية لابد أن تؤدى إلى حياة سياسية سليمة أيضًا، فالجنس فى نظر «مورافيا» أساس كل السلوك والتفكير الإنسانى، ولذلك يربط فى هذه الرواية بين الفاشية والشذوذ الجنسى، فكلاهما من الأمراض التى أصيبت بها الإنسانية فى عقلها وجسدها.. رواية «مكيافيلى» سنة ١٩٥٠، يؤكد الكاتب فى هذه الرواية أيضًا أن الأفكار الشاذة السياسية التى اعتنقها «مكيافيلى» كانت نتيجة طبيعية للضياع الجنسى الذى عاناه فى صباه وشبابه.. «شبح عند الظهيرة» سنة ١٩٥٤، «شهر العسل المرير» سنة ١٩٥١، «الاحتقار» سنة ١٩٥٤، «الملل» سنة ١٩٦٠.. فى مجال القصة القصيرة أصدر «مورافيا» ثلاث مجموعات قصصية كل أبطالها من النساء هى: «الفردوس» سنة ١٩٧٠، «حياة أخرى» سنة ١٩٧٣، «بوف» سنة ١٩٧٦.. ومن مسرحياته المهمة «الاله كورت»، «الحفلة التنكرية».

كانت روايات «مورافيا» تحقق أكبر قدر من التوزيع فقد استطاع أن تصل رواياته المباعة إلى ستة ملايين نسخة من الرواية الواحدة، وقد تحولت معظم رواياته إلى أفلام سينمائية مثل أفلام: «امرأتان»،

«الاحتقـار»، «الضيـق»، «المراهقـون»، «فتـاة من رومـا».. وقد صرح «مورافيا» أكثر من مرة أنه لم يكتب للسـينما، وأن كل علاقته بها هى الفلوس وحسـب، واسـتطاع بفكره ورواياته أن يهز المجتمع الإيطالى ويعالج مشاكله حتى أصبح من أبرز الكتاب الأوربيين المعاصرين، وبين الإيطاليين هو أحد الثلاثة نجوم من كتاب إيطاليا.. «دانتى.. يوكاشيو.. مورافيـا».. وقد جمع «مورافيا» بين الفكر والفن فقد اسـتطاع أن يغطى معظـم أبعاد الحياة فـى إيطاليا المعاصـرة وفى الوقت نفسـه لم ينس حرفية فنه، والحياة كلها هى مسـرحه ومن هنـا مزج بين الكوميديا والتراجيديا، ففى أسلوبه سـخرية لاذعة تعرى النفس البشرية بقدر الإمـكان، وأروع مـا يقابله القارئ فى روايـات «مورافيا» تلك الفرحة بالحياة، فكل الشخصيات واعية تماما بأبعاد وجودها داخل المجتمع، وتحـاول دائمًا أن تحقق وجودها بطريقة أو بأخرى، ولعل الجنس هو أحد التنويعات التى تلجأ إليها الشخصيات لتحقيق وجودها لأنه متاح للجميع، ولأن الجنس يهدف أساسًـا إلى الاستمرار. وإذا كانت كتابات «مورافيا» تدعو إلى الفرحة بالحياة فإن ذلك يرجع لشـخصيته المتفائلة فمـن أقواله للصحفى المصرى الدكتور غالى شـكرى وهو فى الثمانين من عمره تقريبا أثناء زيارته الأخيرة لمصر.

«اليـوم أفضل من الأمس.. والغد سـيكون أفضل مـن الاثنين.. إننى فـى جميع الأحوال من عشـاق الحاضر لسـت أؤرخ للماضـى ولا أتنبأ بالمسـتقبل.. الحاضر هو عالمى ودنياى التى يجـب على أن أعطيها كل

ما أملك من طاقة وفكر وحب.. لقد أنجزت حضارتنا المعاصرة إنجازات رائعة يجدر بنا أن نحافظ عليها..».

فـى كلام «مورافيا» اعـتراف بأنه يميل إلى الفلسـفة الوجودية ولمَ لا وهـو صديق زعيم الوجودية «جان بول سـارتر» بـل هو يصرح بأنَه كتـب الرواية الوجودية قبل سـارتر ومثال ذلك رواية «المسـتهترون أو اللامبالون».

«مورافيـا» يبحث دائمًا عن أبطال قصصه فى الشـارع فهو يقول: إن أبطاله دائمًا من الشـارع وتثيره فيهم الأشـياء البسـيطة.. نظرتهم إلى الحياة.. إحساسـهم بالحب.. كيف يواجهون مشاكلهم؟ طريقتهم فى الحديث.. وهو يعترف أنه زار معظم العالم ويتقن ثلاث لغات، ولكنه يكتـب رواياته عن روما لأن هذا هو المكان الوحيد الذى يعرفه ويكتب عنه بلغته الإيطالية، أما بالنسـبة لتناوله للجنس فيقول ليس البشـر أرواحا وإنما هم أجسـاد تمزقهـم الحاجة، وهناك فـرق بين الكتابة المثـيرة عن الجنس والكتابة الجـادة فيه، الذى يكتب عن الحياة اليوم يجـب أن يكتـب عنها كلها، وفى هـذا يقول الأسـتاذ الدكتور «نبيل راغب»: «لا يمكن لنا اتهام «مورافيا» بالإثارة الجنسية الرخيصة فالفن العظيم قادر على الارتقاء بكل الرغبات الجنسـية والمشاعر البدائية إلى آفاق سـامية بعيدة عن عالم الحيوان.بكل بدائيته ووحشـيته.. إن أدب «مورافيـا» يعالج الجنس والدعارة بهـدف المزيد من المعرفة الموضوعية بالكون والأحياء..».

يدافع «مورافيا» عن إنسانية بنات الليل فيقول: «هناك طفلة داخل كل امرأة من بنات الليل.. أحيانا تنام هذه الطفلة أو تختنق فى الجو الملوث.. وأحيانا تستيقظ عندما تحب المرأة.. إن الإنسان طيب.. لكن ظروف الحياة صعبة».

لم يكتف «مورافيا» بالحياة فى روما والكتابة عنها ولها، بل شعر برغبة شديدة فى أن يرى عالمه الذى يعيش فيه، فقام بعدة رحلات إلى آسيا وأفريقية زار فيها مصر ثلاث مرات، والكويت وعمان واليمن ولبنان والصين وكينيا وغانا والسودان وأفغانستان والسعودية وأمريكا اللاتينية وغيرها، ولم تكن أسفاره مجرد رحلات ترفيهية للمتعة، بل كانت أسفار مفكر يهتم بالإنسان فى كل مكان، يدعو للتسامح وحل المشاكل السياسية الملحة والقضاء على الظلم والتعصب، وهو يبغض التعصب ويقول عنه:

«التعصب يعنى الشعور بالنقص وهو نوع من الانحطاط الدينى، لأن الأديان غير متعصبة فى أساسها، التعصب لابد من إدانته فى جميع الأحوال..».

على الرغم من أن «البرتو مورافيا» يدين باليهودية إلا إن كراهيته للتعصب وإيمانه بحقوق الإنسان جعله يفرق بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كمذهب سياسى، ويذكر حنفى المحلاوى فى كتابه: «عاشق فوق الثمانين مورافيا قصة حب طويلة» موقف كاتبنا من الانتفاضة الفلسطينية إذ يقول عنها: «اننى أدين بشدة العنف الذى استخدمته

إسـرائيل ضد الفلسـطينيين، ويجب على الفلسطينيين أن يحصلوا على حقهم فى إقامة وطنهم المشـروع، فتسوية المشكلة الفلسطينية فى رأيى هى قيام دولة عربيـة يهودية علمانية، غير أن الطريق المؤدى إلى تلك التسوية طويل جدًا وربما لابد سيتخلله حروب وثورات..».

قبل أن يقوم «مورافيا» بزيارة مصر للمرة الثالثة صرح قائلا: «شعب مصـر ذو أخلاق كريمـة يتميز بالطيبـة وخفة الظل، لكنـه دائمًا فى معاناة، مصر من أعرق شـعوب العالم، فقد قمـت بزيارتها مرتين من قبـل، المرة الأولى مع زوجتى الأولى سـنة ١٩٥٤، والثانية مع زوجتى الثانيـة حيث كنت ضيفًا على مهرجان القاهرة السـينمائى، وهذه هى المرة الثالثة التى سأقوم فيها بزيارة مصر مع زوجتى الثالثة..».

بعد زيارته للصين أصدر كتابا عن الثورة الثقافية فى الصين، وشـده فـى المجتمع الصينى الفقر الذى يعانى منه كل الأفراد، لكنه لم يحزن لهذا الفقر لأنه ظاهرة عامة، بمعنى أنه لم يجد فقراء وأغنياء، بل وجد الـكل فقراء، من هنا فالفقر هو الحالة العادية لأى إنسـان.. أما الثراء فهو الترف هو كل شىء زيادة عن اللزوم، زيادة عن الضرورة، أما الذى أعجبه فى الصين فهو الفن. وغير ذلك أبهرته اليمن، وعبر عن إعجابه الشـديدة بكينيا حتى أطلق عليها لقب: «سويسـرا أفريقيا» وقال: إن أفريقيا تستطيع أن تحقق دخلا هائلا لو اعتنت عناية كافية بالسياحة، وهى تمتاز على آسـيا بوفرة مواردها الطبيعية وإمكاناتها، ولهذا فإن إمكانيات الشـعوب الأفريقيـة للتقدم ورفع مسـتواها تفوق إمكانيات الهند مثلا، فضلا عن أن الشعوب الأفريقية تمتاز بذكائها.

هكـذا كان «البرتو مورافيا» كاتبًا مثقفا ومفكرًا يبحث عن الإنسـان ليعرف مشاكله ويحاول وضع حلول لها، ولم يعمل فى أى مجال سوى الأدب، وعندما سئل وهل يستطيع الإنسان الكاتب أن يعيش على مهنة الأدب وحسـب؟ أجاب: أنه يمكن للكاتب أن يعيش على كسـب عمله حياة عادية وليس مهما أن يكون مليونيرًا.

أمـا حياة «مورافيا» الخاصة فكانت مصدرا لحديث الناس والصحف والإعلام والقيل والقال بسبب حبه للمرأة واعتزازه بها ودفاعه فى أدبه عنها، بل وتعريتها والتعبير عن أدق أحاسيسـها ومشاعرها ومحاولة حل مشـاكلها، ومن أسـباب اهتمام الناس «بمورافيـا» أيضًا أنه تزوج ثلاث مرات، وجعل من اهتمامه بالمرأة قضية حياته وعمله الذى يعيش عليه فى أدبه، وكان اهتمامه بالمرأة منذ نعومة أظفاره وهو صبى يتطلع إلى الحياة، وقد عرف الحب وهو فى سـن المراهقة. إذ أحب فتاة ألمانية تكبره بعشـرين سنة، ومع حبه واهتمامه وانشـغاله بالمرأة إلا إنه لم يتزوج مبكرًا وإنما تزوج وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره، ولم يعش مـع زوجة واحدة طـوال حياته، بل تزوج بثـلاث زوجات، والدارس لحياة «مورافيا» يشـعر بأن هذا الأديب العاشـق الولهان بالمرأة لم يكن يهتم بجمال وجهها وتناسـق جسـدها وأناقتها وأنوثتها وحسب، بل كان يهتم أيضًا بجمال عقلها وقوة شـخصيتها ورجاحة تفكيرها، وهذا يحسـب للأديب الكبير. أما أول زوجة فكانت «إلسـا مورانتى» أديبة إيطالية معروفة كانت تخطو على عتبة الشـهرة مثل «مورافيا» تماما،

بل يقول البعض: إنها كانت تفوقه فى الشهرة، تم الزواج فى الكنيسة تحقيقا لرغبة العروس المتدينة فى سنة ١٩٤١، وقضى العروسان شهر العسل فى إحدى المدن الفرنسية، ومن الطبيعى أن يتفرغ كل منهما للكتابة والمناقشة بعض الوقت لأن الأديب والمفكر لا يمكن أن ينشغل عن عمله وفكره مدة طويلة.. استمر هذا الزواج ربع قرن من الزمان فى احترام متبادل وعشق من الطرفين، ولم يعكره أحيانا ويقضى عليه فى النهاية إلا الغيرة الأدبية والتنافس على الشهرة، وعلى الرغم من الطلاق قال «مورافيا» عن زوجته الأولى:

[كانت «إلسا» كاتبة كبيرة نوعا ما.. أقول نوعا ما.. لأنه من الصعب أن أصدر حكمًا عليها.. لقد عشت معها خمسا وعشرين عاما كانت تتسم بالعبقرية.. عبقرية تامة نضجت قبل الأوان، وكتبت رواية وهى فى الثانية عشرة من عمرها، ولدت وفى يدها قلم.. وقدرى هو الزواج من نساء أديبات.. كانت «إلسا مورانتى» كاتبة.. ولم أنجب منها أطفالا لأننا اكتفينا بما لدينا من كتب ومؤلفات].

لم يستطع العبقرى العاشق «مورافيا» أن يعيش عَزَبًا دون امرأة تملأ عليه حياته وعشيقة تسمو بعواطفه وترافق نجاحاته، وكان «مورافيا» نصيرًا لحرية المرأة واستقلالها وضرورة مساواتها مع الرجل، وتعرف إلى الشاعرة وكاتبة السيناريو «داسيا مارينى» التى حصلت على جائزة عالمية فى الشعر، وكانت مفكرة ومناضلة من أجل تحقيق حرية المرأة، ووجدت فى «مورافيا» الأديب والمفكر الشجاع الذى يمكن أن يساندها

ويساعدها فى دعوتها وتبادل الاثنان الحب على الرغم من أنها تصغره بثلاثين عامًا تقريبا، وكان حبه لها حبًا أبويًا وإعجابًا بشخصيتها، لم تطلب «داسيا» أن يكون الارتباط أو الزواج رسميًا لأنها تعلم أن ذلك يمكن أن يضايق «مورافيا»، ومن هنا عاش الاثنان العشيقان حياة سعيدة دون إجراءات رسمية مدة عشرين سنة، وقد عاصر لقاؤهما فترة قلقة فى حياة «مورافيا»، إذ ساد إيطاليا خلال تلك المدة سنوات الإرهاب الأسود المصاحب لظهور الميليشيات الحمراء، ولاشك أن هذه الأحداث قد أثرت بعض الشيء على استمرار العلاقة بينهما، فابتعدت «داسيا» عن «مورافيا» مؤقتًا دون انفصال واتجهت إلى مواصلة ثورتها ضد الرجل، بينما عاش «مورافيا» حياة الترحال الدائم.

أما الزواج الثالث للعبقرى عاشق النساء «ألبرتو مورافيا» فكان زواجًا غريبا عجيبًا تحدثت عنه الأوساط الأدبية والفنية والصحافة والإعلام مع كلام الناس وثرثرتهم، فقد قابل «مورافيا» شابة إسبانية صغيرة تدعى «كارمن» فى ناد للعراة، ومنذ أن رآها لأول مرة أقسم على الزواج منها وقال جملته الشهيرة: «أنا ضحية المرأة التى تعذبنى»، كانت «كارمن» جميلة تعمل بالصحافة والأدب - وهو النوع من النساء الذى يفضله «مورافيا» - وكان عمرها ٣٥ سنة بينما «مورافيا» حوالى الثمانين ونيفًا، من هنا ثارت الصحافة على هذا العجوز المتصابى الذى يريد أن يتزوج فتاة تصغره بحوالى ٤٦ سنة، ولم يهتم العشيقان بكلام الصحافة أو الناس، بل صرح «مورافيا» قبل زواجه: [لدى شعور بأننى

شـاب روحيًا وجسديًا أيضًا، كما أننى رجل مخلص فأنا لم أقرر الزواج من «كارمن» إلا بعد زواج زوجتى الأولى، والحصول على موافقة زوجتى الثانية التى هجرتها.. ويجب أن يعرف الجميع أنه ليس هناك علاقة بـين الحب والعمر.. وعلى أية حال.. فإن هـذه الضجة لن تثنينى عن عزمى فزواجى سيتم قريبا وفى بلدية روما بالذات].

وتحدثـت العروس «كارمن» عن زواجهـا «بمورافيا» فقالت: [إننا نعيش معا منذ خمس سنوات وكان يجب أن يكتمل هذا الحب بالزواج.. وبالنسبة لشعورى وأنا زوجة «مورافيا» فأعتقد أنه رجل متميز، لكنه مثـل جميع الرجـال، أنتم فقط تعتبرونه إلها.. وأبـرز عيوبه العنف وأعظم مزاياه الذكاء ولعلى أؤكد لكم أن فارق السـن بيننا لم يشـعرنى بأى اختلاف لأننى أؤمن بالحب وكذلك لا أحب من هم فى سنى وأفضل الناضجين.. زوجى الأول أيضًا كان يكبرنى بعشـر سنوات، «مورافيا» على الرغم من سنه المتقدمة فهو ملىء بالحيوية حتى أكثر منى، أحيانًا يجتاحنى الغضب قبل أن يدركه هو..].

نشـرت الصحف بعد ذلك خبر زواج «مورافيا» الثالث فقالت: «فى يوم ٢٨ يناير سـنة ١٩٨٦ عقد قران الروائـى والكاتب الإيطالى الكبير «مورافيا» – ٨٠ عامًا – على صحفية إسـبانية المولد.. إيطالية الجنسية «كارمن ليرا» والتى تصغره بـ ٤٦ سنة أقيم الحفل فى إحدى صالات روما ولم يحضره سوى الشهود والممثلة «رادا سيمون» ابنة أخت «مورافيا».. رفـض الزوجان بعد عقد القران تبادل القبلات أمام مصورى التليفزيون وانصرفا فور إتمام مراسم الزواج..».

فـى القاهرة وخـلال زيارته الثالثة لها سـنة ١٩٨٨ سـأله بعض الصحفيين عن كيف يقضى يومه بعد أن أتم الثمانين من عمره؟

إننى أقضى يومى كما كنت أقضيه وأنا فى العشرين عاما تماما بنفس الطريقة.

لماذا تزوجت ثلاث مرات؟

هـذا أمر طبيعـى، المـرأة الكاتبة كائـن مدهش، الكاتبات نسـاء حقيقيات، لسـت أحب المرأة الجاهلـة، لا أطيق فى حياتى الخاصة أن أعاشـر امرأة جاهلة خاملـة الوعى والحواس أحب المـرأة التى تكافئ الرجـل، لذلك أقع فى هوى المرأة الذكية الخلاقـة مثلى.. نعم مثلى.. وليس من عيب مطلقا أن أتزوج سـيدة تصغرنـى أو تكبرنى، المهم هو التكافؤ والندية والحياة الطبيعية التـى أضطر إليها اضطرارا.. الزواج لا يرادف القمع الجسـدى.. أو العقلـى لا من طرف المرأة ولا من طرف الرجل.

ما هو الدور الذى يلعبه الفنان فى هذا العصر؟

أن يعـبر عـن العصر.. أن يقـول لا عندما يحس أن إنسـانية واحد لا يعرفه مهددة.

ما هو إحساسك والشعر الأبيض يغطى رأسك؟

إننى أحب اللون الأبيض.. إنه لون النضج.

من هو الإنسان الذى تحترمه أكثر من غيره؟

غاندى الذى حقق نصر بلاده.

هل بكيت فى حياتك؟

كل إنسان يبكى.. الفنان يبكى لأن العالم كله مخطئ.

هل تكره الحرب ؟

بعمق.. إن الحرب فى رأيى جريمة قتل.

كـم – يا ترى – مـن الناس قال لك: إن شـبهها كبيرا بين ملامحك وكمال أتاتورك ؟

ليسـت هـى المرة الأولى على أيـة حال، وفعـلا أرى أنك على حق. يؤكد بعض النقاد أنك لم تتغير أو تتطور بعد كتابة رواية «اللامبالون» لا عجـب فى ذلك لأن الكاتب بطبيعة الحال ليس لديه جديد بل يكرر أفكاره ومبادئه فى أشـكال مختلفة، فالكاتـب كالطائر وصوته كصوت الطائر لا يتغير.

ما رأيك فى جائزة «نوبل» للأدب.. ولماذا لم ترشح لها؟

إن جائزة «نوبل» لا تعنينى.. وهذا شـىء لا أهتم به وأما بالنسـبة للبعد السياسـى فأنا لا أعلم هذا ربما لم أرشـح لها لأن كتاباتى تتناول موضوعات متعلقة بمشاكل الجنس.. ولا أعتقد أن هناك أسبابا سياسية لعـدم حصولى على هـذه الجائزة.. كمـا أن تلك الجائزة منذ نشـأتها تعطى صورًا للتيارات السياسـية اليسـارية أو اليمينية سـواء للروس أم الأمريكان.

كيف تكتب وتبدع أعمالك؟

عـادة ما أبدأ أى عمل فنى من عطاء قليـل.. ومع مرور الوقت تزداد الفكرة عمقا ونموا وإلحاحًا.. أى إننى أفضل ما تفعله الطبيعة التى تبدأ

من نواة لتصبح فيما بعد شـيئًا كبيرًا.. وعادة ما تستغرق الرواية ثلاث أو أربع سـنوات عملا متواصلا جادًا.. إن كتابة الرواية يستدعى جهدًا عضليًا عقليًا.

خلال سـنواته الأخيرة فاجأ «مورافيا» الأوسـاط الأدبية والسياسية بترشيح نفسـه للبرلمان الأوربى، وهو البعيد دائمًا عن السياسة، وقال فى أسباب ذلك: إنه الخوف من حدوث مذبحة نووية، وقد نجح نجاحًا فائقًـا كعضو منتخب ودَعَا إلى حظـر القنبلة النووية لا من أجل تحقيق السلام وحسب، بل لأن الأنواع البشرية معرضة للانقراض وأنها تحتاج للحماية بنفس الطريقة التى نحمى بها الأسـود والحمار الوحشـى فى أفريقيا، وقد دافع عن قضايا الإنسـان فى كل مـكان، وبخاصة القضية الفلسطينية، وكأنه يضع بذلك اللمسات الأخيرة فى قصة حياته ككاتب ومفكر وسياسى وأديب اهتم بكل قضايا الإنسان والمرأة والحياة من أجل مسـتقبل أفضل للعالم والإنسان الجديد، ولم ينس أن يكتب قصة حياته وتجربته مع الكتابة وتجاربه الأخرى فى الحياة، ومن عجب أن يصدر كتاب «حياة مورافيا» فى نفس يوم رحيله فى صباح السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٩٠، فقد حضر صاحب دور النشر إلى بيت «مورافيا» ومعه نسـخة من الكتاب فوجده ممدودًا فـى أرض الحمام بعد أن حلق ذقنه بنفسه.. ورحل «مورافيا» عن ٨٣ عامًا، وقالت الصحف الإيطالية الصادرة فى صباح اليوم التالى:

«فى السـاعة التاسـعة والنصـف من صبـاح أمس أذاعـت الإذاعة الإيطاليـة نبأ وفاة «ألبرتو مورافيا» وعلـى الفور هرولت الجماهير إلى

بيـت «مورافيا» بحثًا عن الحقيقة كما حضـر أصدقاؤه ومحبوه ورجال الصحافـة والإعلام ومحافـظ مدينة روما وبعض مـن رجال الحكومة، وفى اليـوم التالى تم تجهيز حجرة خاصة فى مبنى الحكومة الإيطالية حتى يوضع فيها الجثمان ويلقى عليه الجميع نظرة الوداع الأخيرة قبل تشييع الجنازة.. وكان الرئيس الإيطالى قد ألقى نظرة وداع على جثمانه ونعاه قائلا:

فَقَـدت إيطاليا أحد فرسـانها وجوهـرة من جواهرهـا، وإنى أقدم خالـص العـزاء إلى أرملة الراحل العزيـز وإلى كل المثقفين الإيطاليين، فقد أحببت «مورافيا» منـذ قراءتى لكتابه الأول فقد كان عملاق الأدب الإيطالى بلا منازع وكان ذكيا طموحًا باحثًا عن الحقيقة.

كانـت «كارمـن» زوجة «مورافيـا» الثالثة والأخيرة فـى رحلة إلى المغرب أثناء الوفاة فقطعت رحلتها وعادت إلى إيطاليا لتحضر الجنازة، أما زوجته الثانية «داسـيا» فقد تحدثت عنه فى التليفزيون وسـاعدت رجال الإعلام فى مهمتهم..

هكـذا انتهت حيـاة «ألبرتو مورافيا» الأديب العالمى عاشـق المرأة، دون جوان الأدب العالمى، المدافع عن حرية الإنسان وإنسانيته وكرامته وبقائه.